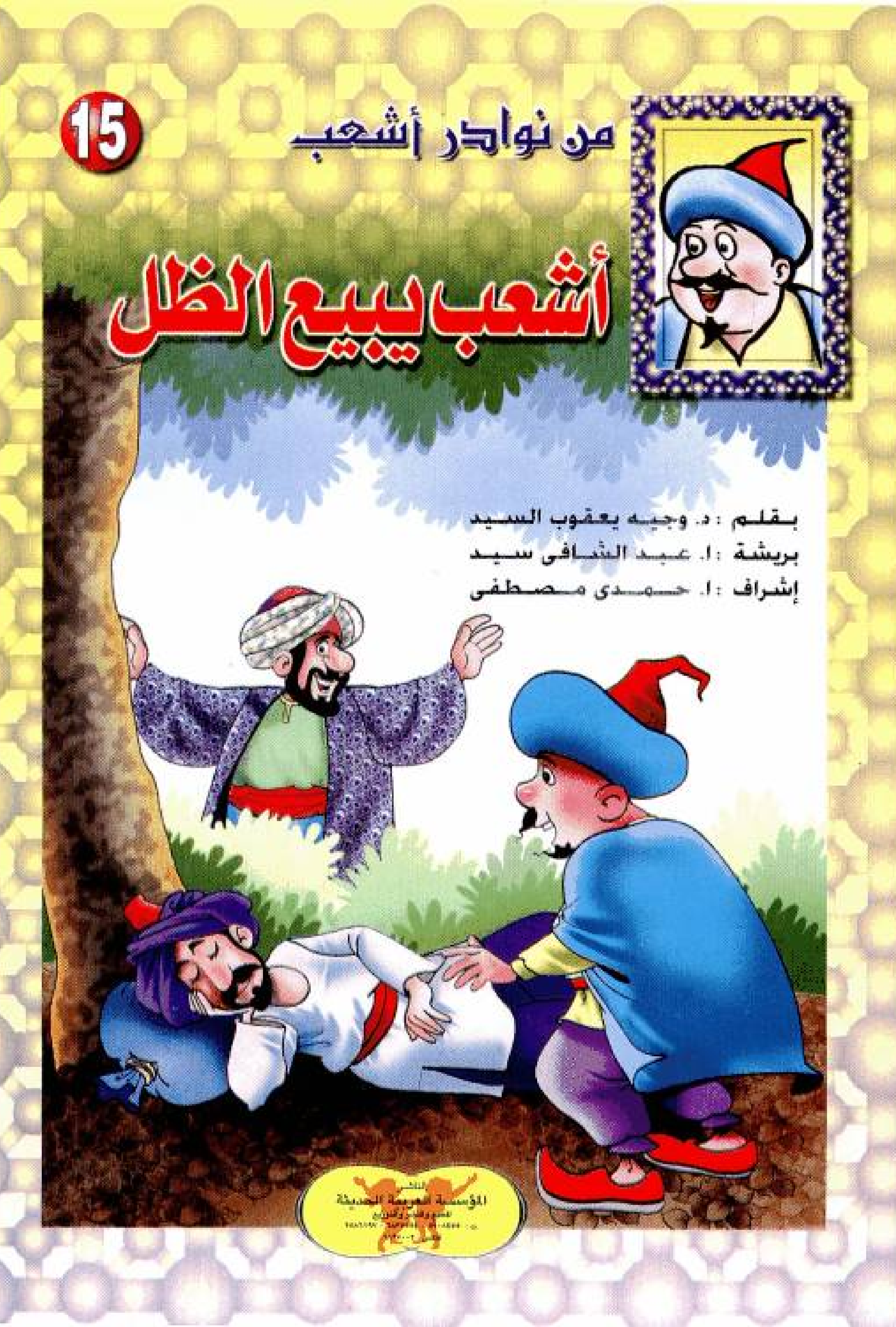

15
من نوادر أشعب
أشعب يبيع الظل
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة



أشْعَبُ الطمّاع

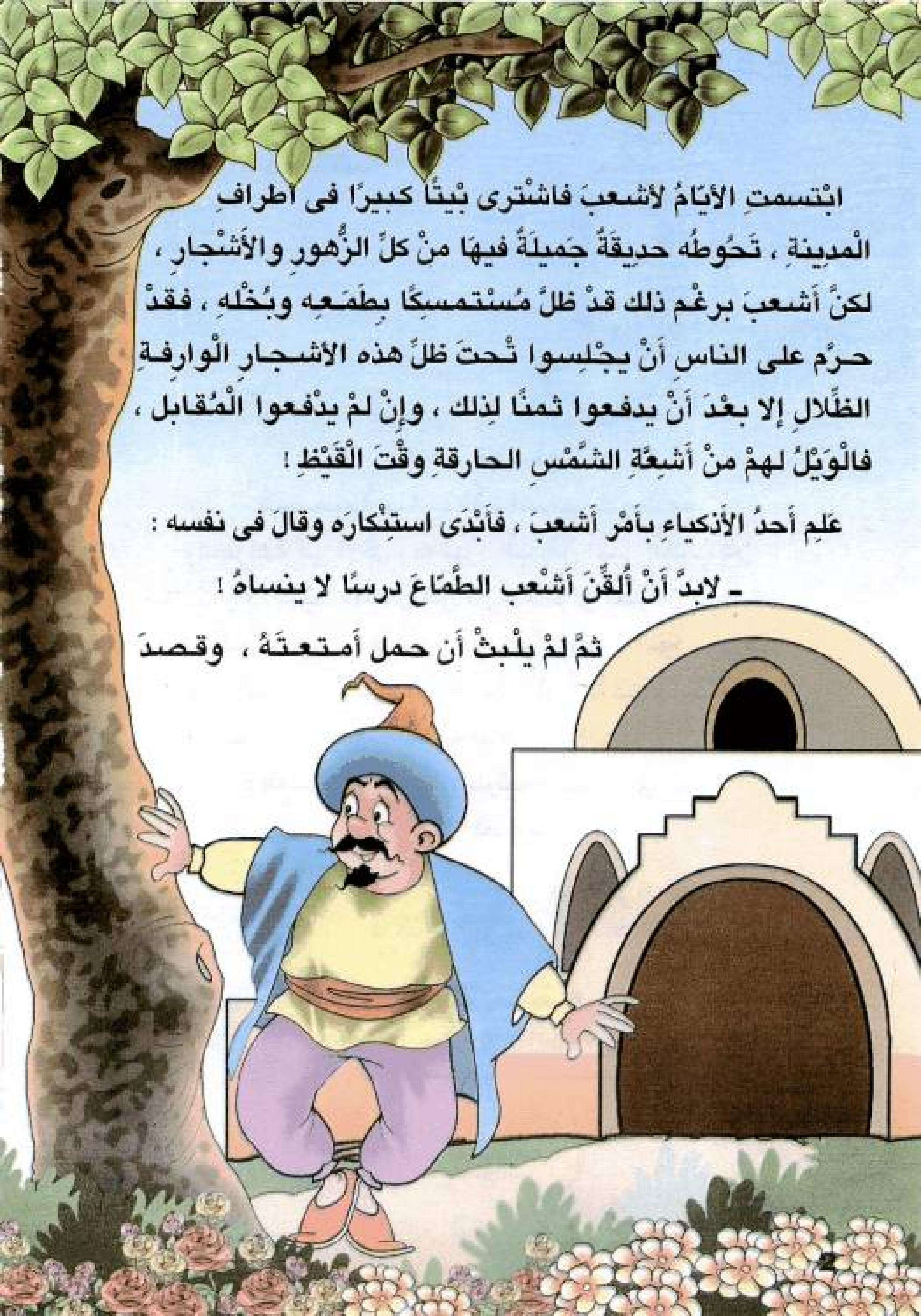
شَخْصِيَةٌ حقيقيَةٌ ، اشْتهرت بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْلِ ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْلِيِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظِرَ دعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخِفَّة روحه ومواقِفِه الطّرِيفَةِ !

أشعب يبيع الظل !

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

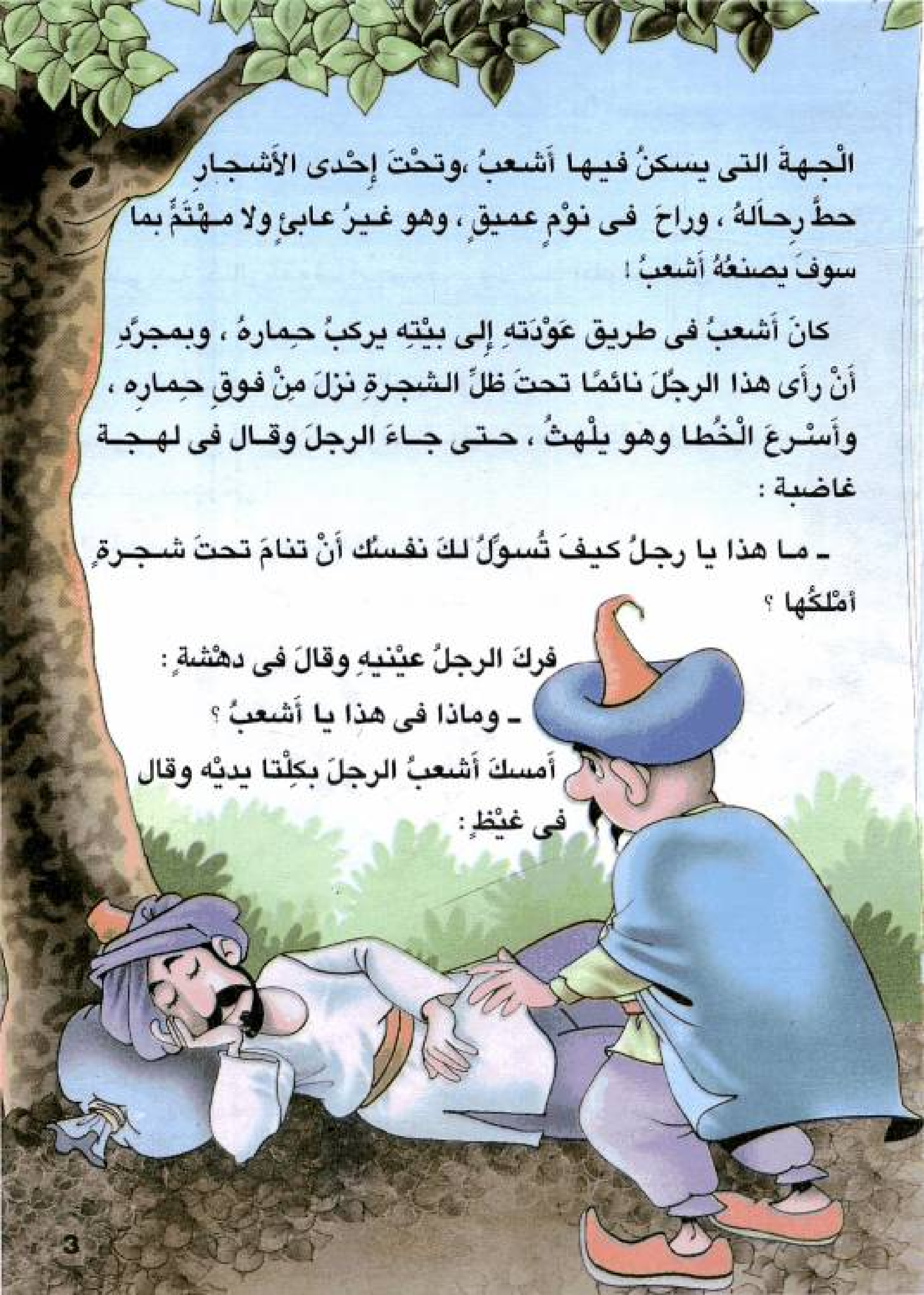


ابْتسمتِ الأيَامُ لأشعبَ فاشْترى بيْتًا كبيرًا فى أطرافِ الْمدينةِ ، تَحُوطُه حديقَةٌ جَميلَةٌ فيهَا منْ كلِّ الزُّهورِ والأَشْجارِ ، لكنَّ أَشعبَ برغْمِ ذلك قدْ ظلَّ مُسْتمسِكًا بِطمَعِه وبُخْلِه ، فقدْ حرَمَ على الناسِ أَنْ يجْلِسوا تَحتَ ظلِّ هذه الأشجارِ الْوارفةِ الظِّلالِ إلا بعْدَ أَنْ يدفعوا ثمنًا لِذلك ، وإِنْ لمْ يدْفعوا الْمُقابل ، فالْوَيْلُ لهمْ منْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الحارقةِ وقْتَ الْقَيْظِ !

عَلِمَ أَحدُ الأَذكياءِ بِأَمْرِ أَشعبَ ، فأَبْدَى استِنْكارَه وقالَ فى نفسه :

ـ لابدَّ أَنْ أُلقِّنَ أَشْعبَ الطَّمّاعَ درسًا لا ينساهُ !

ثمَّ لمْ يلْبثْ أَن حمل أَمتعتَهُ ، وقصدَ



الْجهةَ التى يسكنُ فيها أَشعبُ ،وتحْتَ إِحْدى الأَشجارِ حطَّ رِحالَهُ ، وراحَ فى نوْمٍ عميقٍ ، وهو غيرُ عابئٍ ولا مهْتَمٍّ بما سوفَ يصنعُهُ أَشعبُ !

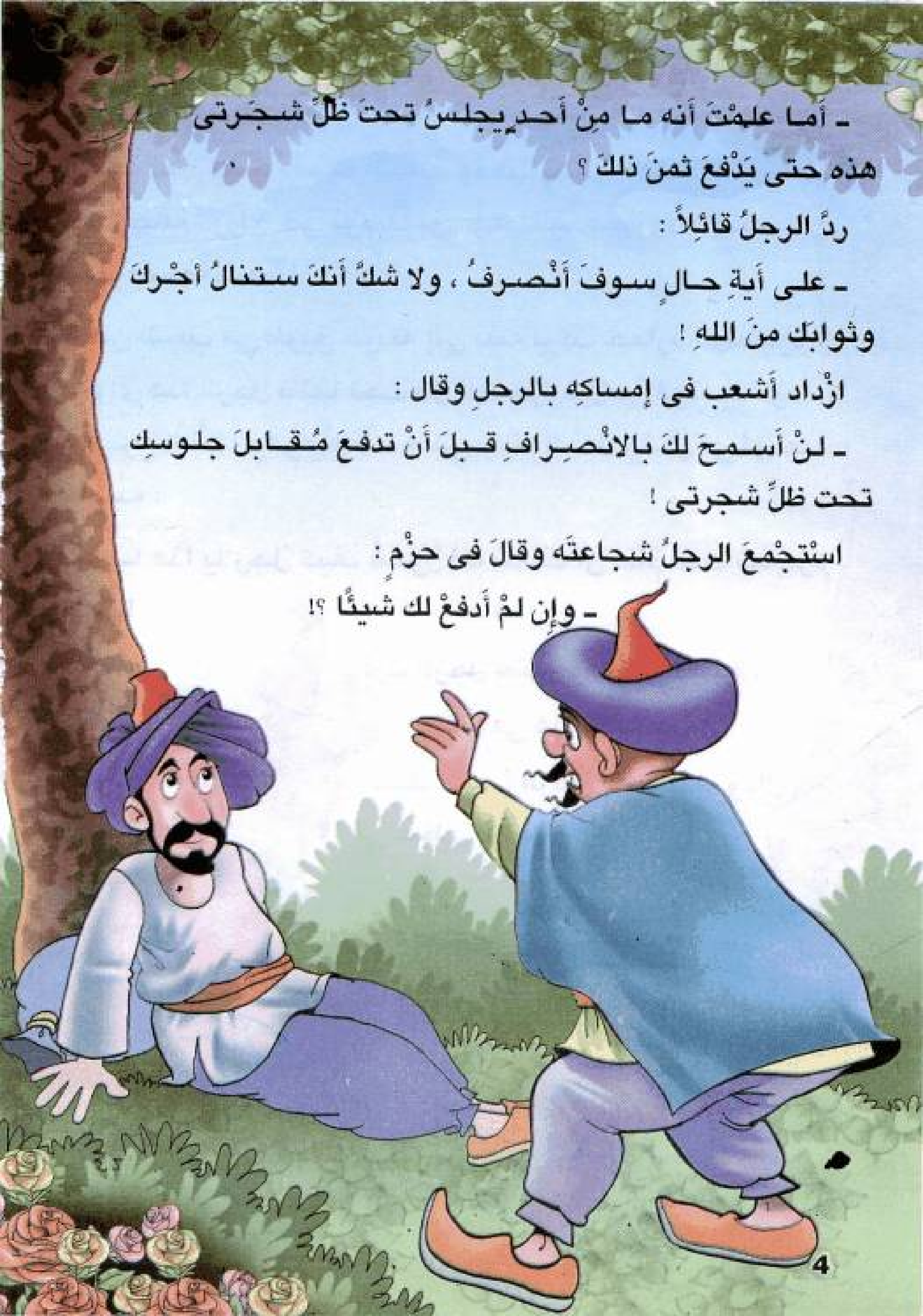
كانَ أَشعبُ فى طريق عَوْدَتهِ إِلى بيْتِهِ يركبُ حِمارهُ ، وبمجرَّدِ أَنْ رأَى هذا الرجلَ نائمًا تحتَ ظلِّ الشجرةِ نزلَ مِنْ فوقِ حِماره ، وأَسْرعَ الْخُطا وهو يلْهثُ ، حتى جاءَ الرجلَ وقال فى لهجة غاضبة :

ـ ما هذا يا رجلُ كيفَ تُسوِّلُ لكَ نفسُك أَنْ تنامَ تحتَ شجرةٍ أمْلكُها ؟

فركَ الرجلُ عيْنيهِ وقالَ فى دهْشةٍ :

ـ وماذا فى هذا يا أَشعبُ ؟

أَمسكَ أَشعبُ الرجلَ بكِلْتا يديْه وقال فى غيْظٍ :



- أَما علمْتَ أَنه ما منْ أَحدٍ يجلسُ تحتَ ظلِّ شجرتى هذه حتى يَدْفعَ ثمنَ ذلكَ ؟

ردَّ الرجلُ قائلاً :

- على أيةِ حالٍ سوفَ أَنْصرفُ ، ولا شكَّ أَنكَ ستنالُ أجْركَ وثوابَك منَ اللهِ !

ازْداد أَشعبُ فى إمساكِه بالرجلِ وقال :

- لنْ أَسمحَ لكَ بالانْصرافِ قبلَ أَنْ تدفعَ مُقابلَ جلوسكِ تحت ظلِّ شجرتى !

استْجْمعَ الرجلُ شجاعتَه وقالَ فى حزْمٍ :

- وإن لمْ أَدفعْ لك شيئًا ؟!



ردَّ أشعبُ فى عُنْف :

- إذنْ أُوجِعُكَ ضرْبًا .

ثم بدتْ مِن أَشعبَ نظرةٌ شرِّيرةٌ توحِي بجدِّيَّتِه فى التهدِيد !

نظرَ الرجلُ إلى أَشعبَ نظرةً ماكرةً وقال فى خُبْثٍ :

- سوْف أُعْطيكَ حقَّك هذه المَرةَ ، ولكنِّى أريدُ أن أشْترىَ ظلَّ هذه الشجرةِ للأبد مُقابلَ مبلغٍ كبيرٍ منَ المالِ ، فأنا رجلٌ كثيرُ الأسْفارِ والتَّرْحال .

انْفَرجتْ أَساريرُ أَشعبَ وقالَ فى انْبساطٍ :

- مبلغٍ كبيرٍ منَ المْال ؟ كمْ ؟!



لاحتْ منَ الرجلِ ابْتسامةٌ وقال :

ـ مُقابلَ خمسةِ دنانيرَ كاملةٍ !

ثم أَضاف فى نبْرةٍ حاسِمةٍ :

ـ ولكنْ لى شرْطٌ واحدٌ ، حتى أُتمَّ هذه الصفقةَ .

وفى لَهْفةٍ قال أَشعبُ :

ـ كلُّ شروطكَ مُجابَةٌ . خمْسةِ دنانير.. يالَهامِن فُرْصةٍ !

وجدَ الرجلُ أَنَّ فرصَتَهُ فى الْكلامِ مُناسبةٌ فقال فى ثقة :

ـ إنَّ شرطى هو أَنْ يكتُبَ قاضى القرْيةِ عقْدًا

بهذا الاتِّفاق ، علـى أن يكـونَ مِنْ

شروطِ هذا الْعقْدِ أَنْ أَنْتفعَ بظلِّ هذه

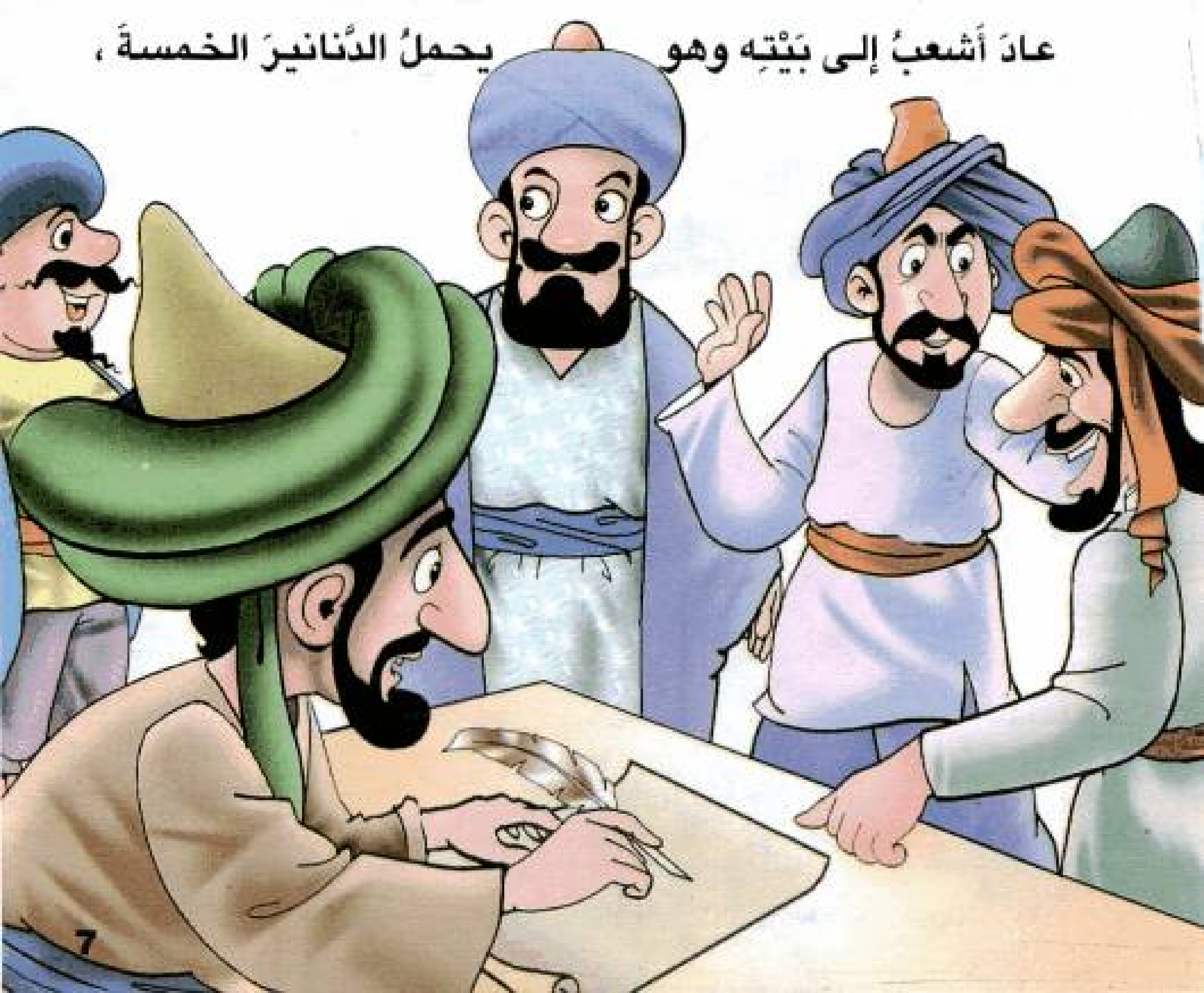
الشَّجرةِ في أيِّ وقت منْ أوقات اليوْم ، وفي أيِّ اتِّجاهٍ يصلُ إليه هذا الظلُّ !

لم يَكَدْ يُكملُ الرجلُ كلامَهُ حتى قالَ أَشعبُ والْفرحةُ تقْفزُ منْ عينيهِ :

ـ مُوافقٌ على كلِّ شروطكَ يا رجلُ . خمْسة دنانير ، يا لَها مِن فُرْصة !!

تمَّ تَحْريرُ « عقْدِ بيعِ ظلِّ الشجرةِ » بيْنَ أَشعبَ وهذا الرَّجلِ بمعْرفةِ الْقاضى وحُضُورِ الشُّهودِ ، وسْطَ ذُهُولِ الْجميعِ واندِهاشِهِمْ ، لأنَّ هذا الْعقْدَ كان الأولَ مِن نوْعهِ .

عادَ أَشعبُ إلى بَيْتِه وهو يحملُ الدَّنانيرَ الخمسةَ ،

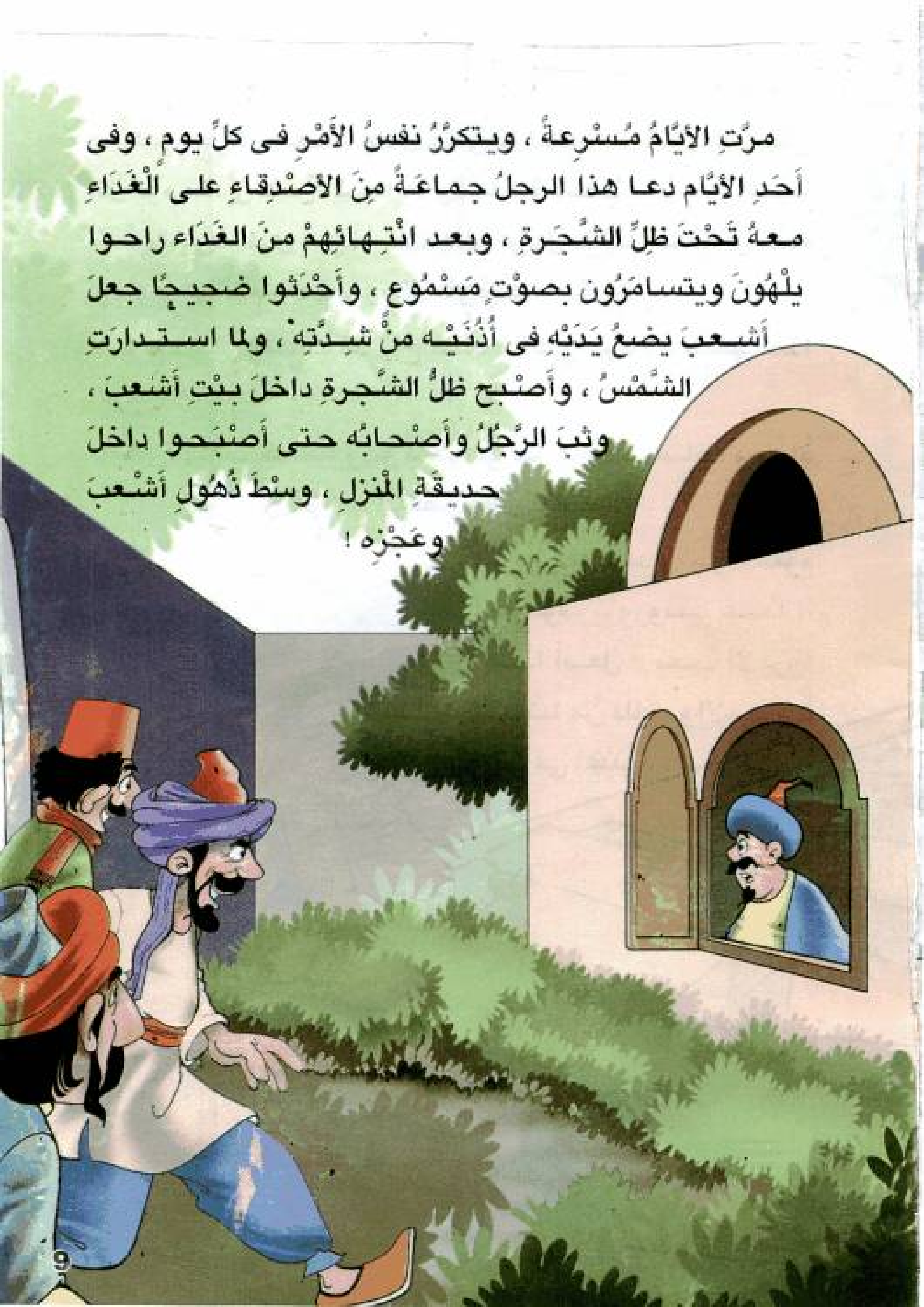


وهو يكادُ يطيرُ مِنَ الفَرْحَةِ ، بَيْنما عاد الرجلُ الذَّكىُّ إلى بيتهِ وهو يحملُ عقْدًا مُوَثَّقًا عليه توقيعُ أَشْعبَ ، وراحَ يقولُ لنفسِه :

ـ إنَّ غدًا لِنَاظِرِه قريبٌ !

لم تكدْ شمسُ الْيوْمِ التَّالى تُشْرِقُ ، حتى كانَ الرَّجلُ الذى اشْترى الظِّلَّ جالسًا تحتَ الشَّجرةِ ، وعنْدَما أوشكتِ الشَّمْسُ أن تميلَ إلى الغُرُوبِ كان ظلُّ الشَّجرةِ قد اسْتَدارَ حتَّى أَصبَحَ داخلَ بيْتِ أَشعبَ نَفْسِه .

وبمُوجبِ الْعقْدِ فقدْ دخلَ الرَّجلُ داخلَ الْبيْتِ ووضعَ حاجَتَه وراح فى نَوْمٍ عميقٍ ، بَيْنما أَشعبُ يرَى ما يحْدُثُ أمامَ عيْنَيْه فلا يقْدِرُ على منعِ الرَّجلِ منَ الجلوسِ تَحْتَ ظِلِّ الشَّجرةِ .



مرَّتِ الأيَّامُ مُسْرِعةً ، ويتكرَّرُ نفسُ الأَمْرِ فى كلِّ يومٍ ، وفى أَحَدِ الأيَّام دعا هذا الرجلُ جماعَةً مِنَ الأصْدِقاءِ على الْغَدَاءِ معهُ تَحْتَ ظِلِّ الشَّجَرةِ ، وبعد انْتِهائِهِمْ منَ الغَدَاء راحوا يلْهُونَ ويتسامَرُون بصوْتٍ مَسْمُوعٍ ، وأَحْدَثوا ضجيجًا جعلَ أَشعبَ يضعُ يَدَيْهِ فى أُذُنَيْه منْ شِدَّتِه ، ولما استدارَتِ الشَّمْسُ ، وأَصْبح ظِلُّ الشَّجرةِ داخلَ بيْتِ أَشعبَ ، وثَبَ الرَّجلُ وأَصْحابُه حتى أَصْبحوا داخلَ حديقَةِ المْنزلِ ، وسْطَ ذُهُولِ أَشْعبَ وعَجْزِه !

أَصبحَ بيتُ أَشعبَ الْهادئُ مَسرَحًا للأَحْداثِ المُتَلاحِقَةِ ، ففى كلِّ يوْمٍ تتكرَّرُ نفسُ المأْساةِ ، وكُلَّما همَّ أَشعبُ بأَنْ يفعلَ شيْئًا تذكَّرَ الشَّرْطَ الذى شَرَطَهُ عليْه ذلك الرجلُ فيكْتُمُ ضِيقَهُ فى قلْبِه ويَرُوحُ فى نَدَمٍ عَميق ، ويظَلُّ يلومُ نفْسَه بقوْلِه :

- يبدو أَنَّ أَشعبَ قدْ راحَ ضحيَّةَ مُؤَامَرَةٍ ، أَحْكَمَها هذا الرَّجلُ الخبيثُ .

كان أَشعبُ جالسًا وهو يفكِّرُ فى حلٍّ لهذه المأْسَاةِ ، وفجأَةً انْتفضَ وقال لِنَفْسه :

- إنَّ أَثْرِياءَ الْبلدِ وَوُجَهاءَ القوْمِ سوْفَ يزورونَنى غدًا ، ماذا أَفعلُ ؟! يجبُ أَلا يَرَوْا شيئًا منْ ذلك ، وإلا ساءَتْ صُورتى فى أَعْيُنِهم .



مرَّ الليلُ ثقيلاً على أشعب ، فقدْ بات يفكِّرُ فى أمرِ زيارةِ أَصْدقائِه له ، وما قدْ يُسَبِّبُه الرجلُ الذى اشْترى ظلَّ الشَّجرةِ من إحْراجٍ ؛ واستمرَّ أشعبُ فى تفْكيرِه كثيرًا ، وبعْدها ذهبَ إلى أصدِقائه ليؤكِّدَ لهمْ على موْعِدِ الزِّيارةِ ويقودَهمْ إلى بيْتِهِ الْجديد ..

كان أَشعبُ يُمَنِّى نَفْسَه بوظيفةٍ مُهمَّةٍ ، يُنْعِمُ بها عليْه أَحدُ الأُمَراءِ الذين وجَّهَ إليهمُ الدَّعْوَةَ ، كما كان يسْعَى مِنْ وراءِ هذه الدَّعْوَةِ إلى تَوْثيقِ صِلاَتِه بِوُجَهاءِ الْمَدِينة عسى أنْ يجودوا عليْهِ بالْهدايا والْمُكافآتِ ويَدْعُوهُ إلى ولائمِ الطَّعامِ الْعامِرَةِ .





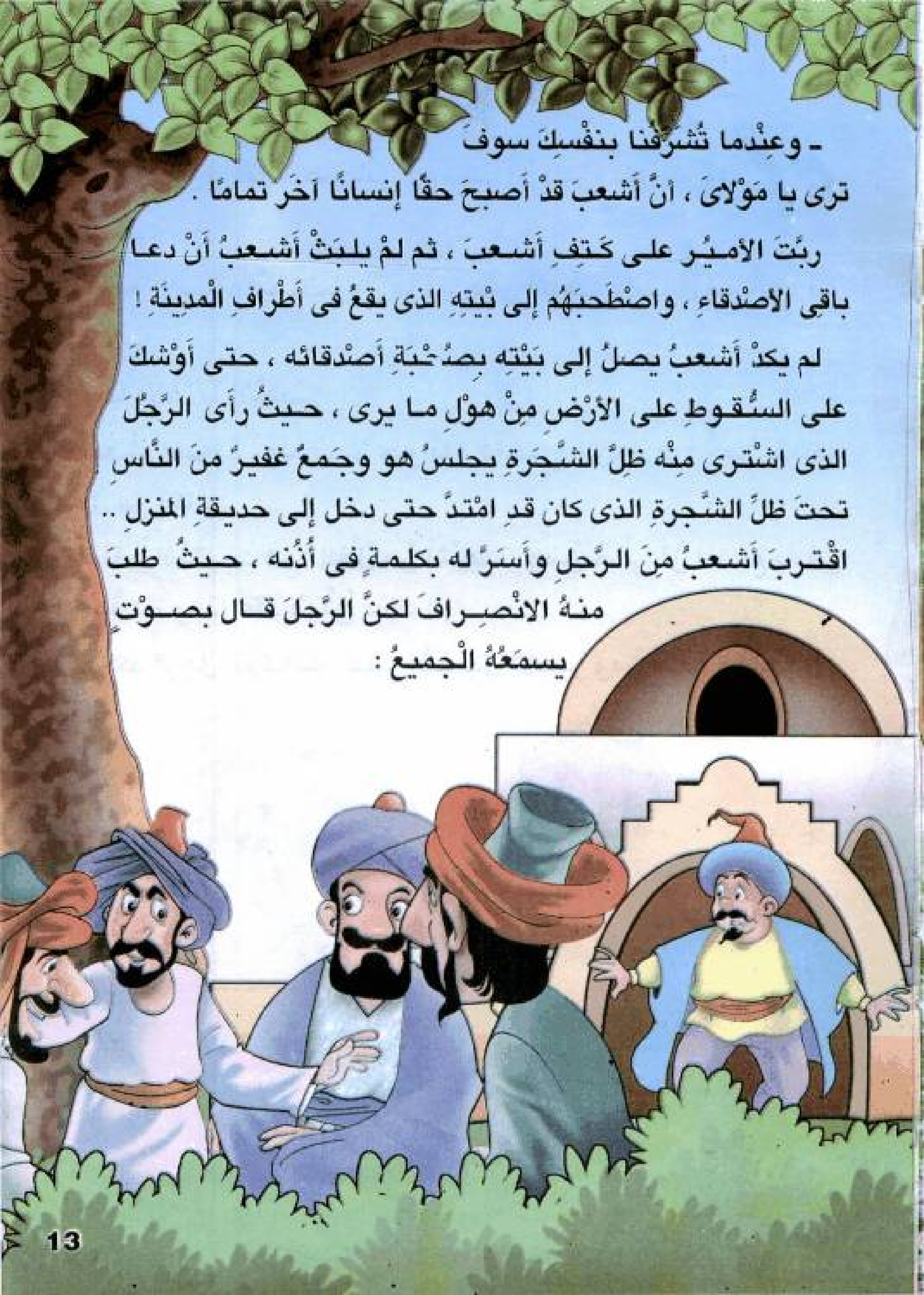
ابْتسمَ الأَميرُ لأَشْعبَ ، وهو يرْتدِى عباءَتَهُ وقال وهو يُرَبِّتُ على كَتِفِهِ :

ـ لقدْ سعدتُ يا أَشعبُ بمجرّدِ أَنْ سمِعْتُ أَن أحوالك قدِ استقامَتْ ، وقدِ استقرَّ بك الأمْرُ إلى الإقامةِ فى بَيْتٍ فخْمٍ !

ثم أَضاف :

ـ وقدِ ازْدادتْ سعادتى بعْدَ أَنْ أَيْقَنْتُ أَنَّك أَصبحتَ أَشعبَ آخرَ ، غيرَ أَشعبَ الطَّمَّاعِ الْمُتطفِّلِ الذى لا همَّ له سوى السَّعْىِ وراءَ الوَلائِمِ والْموائدِ !

كانتِ الْفرْحةُ تملأُ وجْهَ أَشعب وهو يسْمَعُ إطْراءَ الأميرِ له ، فقالَ وهو يتظاهرُ بالْجِدِّيَّة والاهْتمام :



- وعِنْدما تُشرِّفنا بنفْسِكَ سوفَ ترى يا مَوْلاىَ ، أنَّ أشعبَ قدْ أصبحَ حقًّا إنسانًا آخرَ تمامًا .

ربَتَ الأميرُ على كَتِفِ أشعبَ ، ثم لمْ يلبَثْ أشعبُ أنْ دعا باقِى الأصْدقاءِ ، واصْطَحبَهُم إلى بَيْتِهِ الذى يقعُ فى أطْرافِ الْمدِينَةِ !

لم يكدْ أشعبُ يصلُ إلى بَيْتِهِ بِصُحْبَةِ أصْدقائه ، حتى أوْشكَ على السُّقوطِ على الأرْضِ مِنْ هوْلِ ما يرى ، حيثُ رأى الرَّجُلَ الذى اشْترى مِنْه ظِلَّ الشَّجَرَةِ يجلسُ هو وجَمعٌ غفيرٌ منَ النَّاسِ تحتَ ظِلِّ الشَّجرةِ الذى كان قدِ امْتدَّ حتى دخل إلى حديقةِ المنزلِ .. اقْتربَ أشعبُ مِنَ الرَّجلِ وأسَرَّ له بكلمةٍ فى أُذُنه ، حيثُ طلبَ منهُ الانْصِرافَ لكنَّ الرَّجلَ قال بصوْتٍ يسمَعُهُ الْجميعُ :



ـ لنْ أنْصرِفَ أنَا وأصْحابى ، ويجبُ أنْ تلْتزِمَ بكلِّ شروطِ الْعَقْدِ !

سمعَ الأميرُ والْحاضِرونَ ما دارَ بيْنَ أشعب والرَّجلِ فسألوهُ فى اهْتِمامٍ :

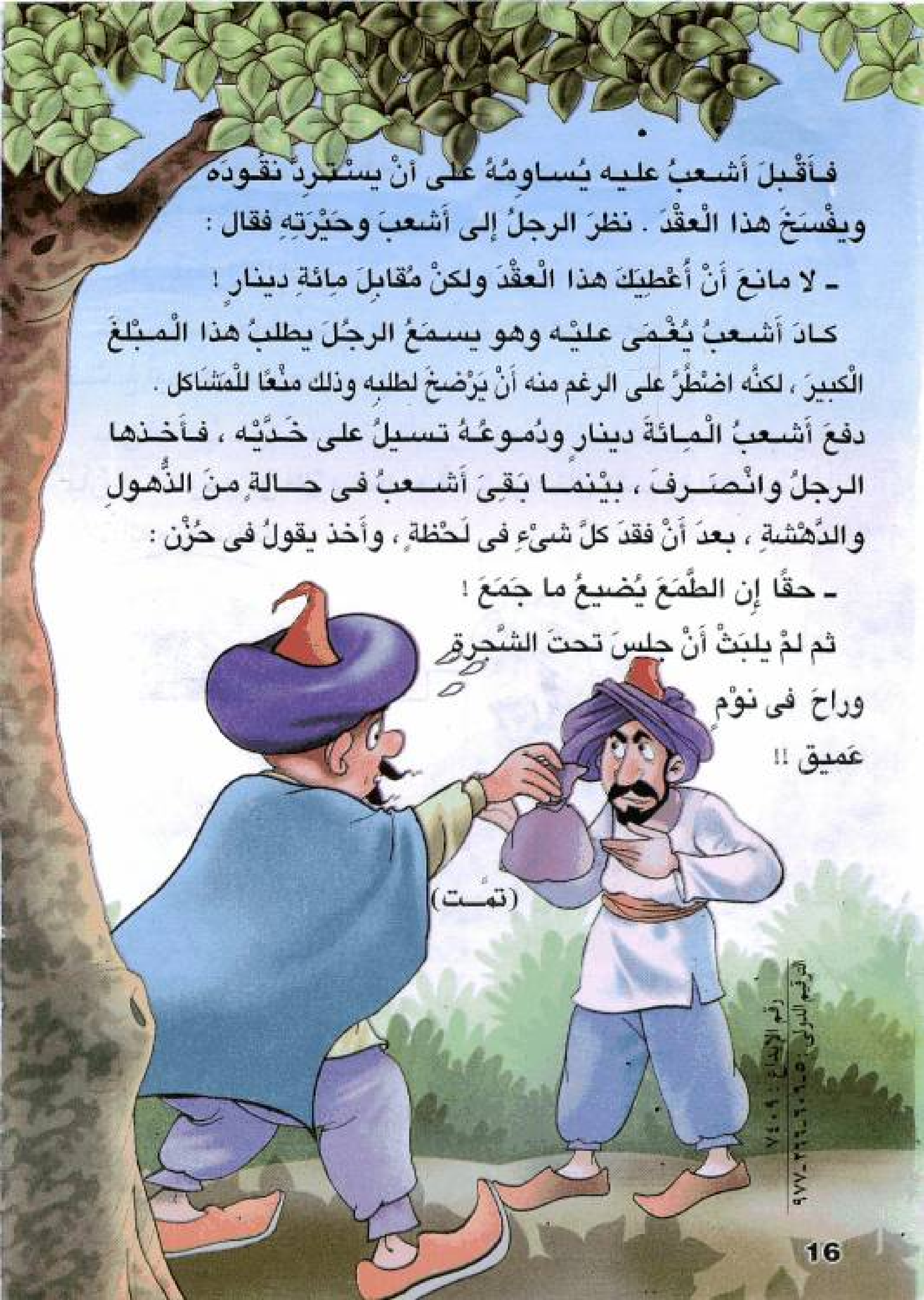
ـ ما الأمْرُ يا أشْعبُ ؟

تَلَعْثَمَ أشعبُ ، ولمْ يُحِرْ جَوابًا ، فأخْرجَ الرجلُ ورَقةً منْ جَيْبِهِ وقالَ فى ذكاءٍ :

ـ لقدِ اشْتريتُ هذا الظِّلَّ منْ أشْعبَ ، ومِنْ حقِّى أنْ أنتفعَ به فى أىِّ وقْتٍ ، وهذا عَقدٌ مُوَثَّقٌ بذلك !

لم يكدِ الرَّجلُ يتمُّ كلامَه ، حتى انْفجرَ الأميرُ ومَنْ معه ضاحكينَ ، وقالوا :





فـأَقْبلَ أَشـعبُ عليـه يُسـاوِمُهُ على أنْ يسْتردَّ نقُودَه ويفْسَخَ هذا العقْدَ . نظرَ الرجلُ إلى أَشعبَ وحيْرَتِه فقال :

ـ لا مانعَ أَنْ أُعْطِيَك هذا الْعقْدَ ولكنْ مُقابِلَ مائةِ دينارٍ !

كـادَ أَشـعبُ يُغْمَى عليْـه وهو يسـمَعُ الرجُلَ يطلبُ هذا الْمـبْلغَ الْكبيرَ ، لكنَّه اضْطُرَّ على الرغمِ منه أَنْ يَرْضخَ لطلبِه وذلك منْعًا للْمَشاكل .

دفعَ أَشـعبُ الْمِـائةَ دينارٍ ودُمـوعُـهُ تسـيلُ على خَـدَّيْه ، فـأَخَـذها الـرجلُ وانْصَـرفَ ، بيْنمـا بَقِيَ أَشـعبُ فى حـالةٍ منَ الذُّهولِ والدَّهْشةِ ، بعدَ أَنْ فقدَ كلَّ شيْءٍ فى لَحْظةٍ ، وأَخذ يقولُ فى حُزْنٍ :

ـ حقًّا إِن الطَّمعَ يُضيعُ ما جمَعَ !

ثم لمْ يلبَثْ أَنْ جلسَ تحتَ الشَّجرةِ وراحَ فى نوْمٍ عَميق !!

(تمـت)